المبحث الثاني
علاقات المسخرات ومعاملاتها

لم يكن توضيح طبيعة المسخرات إلا تمهيداً طبيعياً للوصول إلى كيفية استمرار تلك المسخرات في أداء دورها في استمرار الحياة، ولقد تأذن ربنا سبحانه وتعالى وجعل استمرار المسخرات في أداء رسالتها التي من أجلها خلقت، مرهوناً بعلاقات تبادلية بين المسخرات بعضها وبعض في صورة مذهلة هي الأخرى، معجزة تضاف إلى معجزة خلق المسخرات. وتلك العلاقات بين المسخرات يسبقها علاقة أخري هامة وهي علاقة المسخرات بربها، تلك العلاقة التي لابد منها بين أي مخلوق وخالقه، حيث يؤدى تواصل هذه العلاقة إلى ضمان استمرار نفخة الخالق فيما خلق، بما يعود على المخلوق بالقدرة على استمرار عطائه.

وبعد علاقة المسخرات بخالقها ثم علاقتها بعضها ببعض تتبدى علاقات وثيقة بين المسخرات والإنسان تلك العلاقات التي سبق أن أشرت إليها في المبحث السابق والتي تبدت من خلال عرض وظائف المسخرات، وتلك العلاقات في نهاية الأمر هي موضوع الركن الأول من نظرية المعاملات في الإسلام.

ولنبدأ في عرض علاقات المسخرات بالبداية الطبيعية وهي علاقة المسخرات بخالقها.

أولاً: علاقة المسخرات بخالقها

إن المسخرات لا تؤتي من التصرفات الظاهرة لنا ما يجعلنا نلحقها بالكائنات العاقلة، فهي إما تنتمي إلى عالم الجمادات بخصائصه المعروفة من أنه لا يتحرك ولا يتناسل ولا يتغذي أو تنتمي إلى عالم النبات بثباته وعدم قدرته على الانتقال ، أو تنتمي إلى عالم الحيوان بما عرف عنه من عدم القدرة على التفكير وذلك لأن العقل فيه لا يستوي مع عقل الإنسان القادر على تقبل المعلومات والتفكر والتدبر ثم اتخاذ قرار .

وبالرغم من أن عوالم المسخرات غير عاقلة وبالتالي فهي ليست محل تكليف من الله بأوامر ونواهي ولا تحاسب علي أفعالها ، فإنها تقوم بوظائفها بانتظام وفي نظام بالغ الدقة ولآماد ضاربة في القدم ، ذلك أنها خلقت وتؤدي مهامها بالصرفة أي أنها مقهورة على أفعالها ولا تستطيع أن تقوم بغير ما صرفت له من أعمال ولا تستطيع أن تفكر أو تغير أو تبدل في تلك الأعمال المصروفة إليها، أقول بالرغم من ذلك فإنها متصلة بالله سبحانه وتعالي بنوع من التسبيح لا يعلمه أحد ولا يسمعه أحد ولا يفقهه أحد من مخلوقات الله ولكن المسخرات تعرفه ويتلقاه الله ، وفي ذات الوقت فإن المسخرات أداة في إنزال العقاب الإلهي بالبشر حين يبلغ طغيانهم وكفرهم مدى لا يمكنهم من التعايش مع المخلوقات من حولهم، ومن عظيم تكريم المولي عز وجل للمسخرات ورسالتها أن أقسم بها في مواطن كثيرة .

وسوف أحاول إظهار العلاقات بين المسخرات وخالقها في ثلاث علاقات على الوجة التالي :

العلاقة الأولى: تسبيح المسخرات لخالقها:

شأن كل مخلوقات الله تقوم المسخرات بتسبيح الله ، تسبيح تنزيه وشكر على نعمة الخلق وسجود شكر وتمجيد على ما منحها عز وجل من نعمة الاستمرار وشرف الخضوع لسلطان الله وعظمته ولم نكن لنعلم من أمر التسبيح شيئا لو أن الله سبحانه لم يخبرنا في قرآنه عن وجود هذا التسبيح ، بالرغم من أنه حجب عنا كيفيته وفي ذلك حكمة ظاهرها الرحمة بالإنسان إذ لو علم كيف تسبح الأكوان ربها ربما استصغر شأن نفسه إذا ما قارن تسبيحه هو - سواء ما كلف به أو ما يتطوع به من ذاته - بتسبيح المسخرات.

واستعرض بعض الآيات التي أرشدنا بها الله عز وجل عن تسبيح المسخرات لذاته وجلاله .

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٤٩-٥٠	النحل	وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩
٤٤	الإسراء	تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا
١٨	الحج	أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
		وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩
٥-٦	الرحمن	ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ
١	الحديد	سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

هكذا سبح وسجد لله كل أنواع المسخرات جمادات وحيوانات ونباتات وكواكب، ويقودنا التأمل في هذا التسبيح إلى أنه حمد لله، وأن السجود عبادة لله سبحانه، وأن استغراق المسخرات في التسبيح وفي العبادة، إنما يرفع شأنها ومنزلتها عند الله. ولجليل رسالتها في استمرار حياة الإنسان للقيام برسالته الخالدة ألا وهي عبادة الله، فإن الله كرم المسخرات فأقسم بها ونشأت العلاقة الثانية بين المسخرات وخالقها.

العلاقة الثانية – قسم الله بالمسخرات :

إن هذه العلاقة غريبة في فلسفتها فإن الله خالق المسخرات أي أنها من إيجاده عز وجل وبغير إرادته لا تكون أو تستمر وأن تقوم المسخرات بحمد ربها خالقها وعبادته والسجود له أمر طبيعي أما أن يكرم الخالق مخلوقه ويقسم به فذلك منتهي الحفاوة من الخالق بمخلوقاته. ولقد ورد القسم بالملائكة والرياح والسحب وجبل سيناء والكعبة والسماء والبحر والنجوم في أحوالها ومواقعها والقلم وبيوم القيامة وبالفجر وبالأيام العشرة الأولى من ذي الحجة وبيوم النحر ويوم عرفة وبالليل والشمس والقمر والنهار والأرض والضحى والتين والزيتون وبالخيل وبالعصر (الدهر).

إذن فالقسم الإلهي غطى كل صنوف المسخرات وأنواعها وذلك يبين من استعراض بعض الآيات التي جاء فيها القسم بالمسخرات فيما يلي :

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١–٥	الذاريات	وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ
١–٧	الطور	وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١-٢	النجم	وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ
١	القلم	نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ
١-٧	المرسلات	وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ
١-٦	النازعات	وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
١-٤	البروج	وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ
١-٤	الطارق	وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ
١-٥	الفجر	وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١-٨	الشمس	وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا
١-٤	الليل	وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ
١-٣	الضحى	وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ
١-٤	التين	وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
١-٦	العاديات	وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ
١-٢	العصر	وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ

ج) العلاقة الثالثة: الله يستخدم المسخرات في إنزال عقابه:

إن طبيعة خلق المسخرات أنها ذللت وأخضعت حتى تكون في خدمة الإنسان وطيعة له تؤدي وظائفها دون تفكير وبدون قدرة على التغيير، ولكنا نطالع آيات في القرآن تخبرنا بأن الله سبحانه وتعالى يأمر هذه المسخرات فتخرج عن طبيعتها وتكون وسيلة عقاب ينزله المولى عز وجل على أقوام فسقوا وطغوا وزادوا في طغيانهم، ولم يردعهم دعوة رسول أو بينات ومعجزات، فحق عليهم العذاب، وأذاقهم الله ألوانا من العذاب صبته عليهم المسخرات. واستعرض بعضا من الآيات التي ورد فيها العذاب بالمسخرات فيما يلي :

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٢٤-٢٥	الأحقاف	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ
٤٠-٤٤	الذاريات	فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
		﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ
٥-١٠	الحاقة	فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً
١-٥	الفيل	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ

وهكذا تتلخص علاقة المسخرات بالله سبحانه وتعالى في ثلاثة علاقات فرعيه هي :

أ- أن المسخرات تسبح وتسجد لخالقها أي تقوم لله بالعبادة .

ب- أن الله سبحانه وتعالي يقسم بالمسخرات رفعا لشأنها ولجلال خلقها.

ج- أن الله سبحانه وتعالي يستخدم المسخرات في معاقبة الأقوام التي عتت عن أمر ربها. وانتقل الآن إلى علاقة جديدة للمسخرات تلك العلاقة التي تسود بين المسخرات بعضها ببعض .

ثانياً: علاقة المسخرات بعضها ببعض

سبق أن أوضحت طبيعة المسخرات وإندارجها تحت قسمين رئيسين هما:

- مسخرات لا يمكن تملكها أو سيطرة الإنسان عليها – كالشمس والقمر والكواكب والمطر .....الخ .
- مسخرات يسر الله تملكها للإنسان حتى يقوم على رعايتها وإكثارها لتلبية الاحتياجات المتزايدة للإنسان من هذه المسخرات مثل الأنعام والزراعة والأسماك ...الخ .

وبالتأمل نستطيع أن نلمس حقيقة أن العلاقات بين المسخرات من النوع الأول بين بعضها البعض نكاد لا نعرف عنها الكثير ولا زال الإنسان يسعي بالعلم لمعرفة خصائص الأكوان من حولنا وبالتالي التعرف على علاقات هذا النوع من المسخرات بعضها ببعض وسوف لا نتعرض لهذا النوع من العلاقات إلى أن يظهرها لنا العلم بصورة أقرب ما تكون إلى الحقيقة بدلاً من الاعتماد على الفروض في تحديد علاقات لم يقم عليها دليل. وإذا تأملنا النوع الثاني من المسخرات سوف تبدو لنا حقيقة لافتة للنظر هي أن المسخرات من النوع الثاني متعددة العلاقات بينها وبين المسخرات من النوع الأول، فضلاً عن علاقات هامة وقوية بينها وبين بعضها البعض، وكمثال للتوضيح نذكر الشمس، فعلاقة الشمس بغيرها من مسخرات المجموعة الأولى، الظاهر منها هو أن القمر يستمد ضوءه وسناه من الشمس، ولولاها ما كان للقمر وجود ظاهر أو وظيفة ، وربما تكون هناك علاقات أخرى تربط الشمس بمسخرات أخرى غير أننا لا نملك دليلا عليها حتى الآن .

والشمس على الجانب الآخر ذات علاقات هامة ومتعددة مع المسخرات من النوع الثاني حيث إن الشمس تلعب دورا رئيسيا في وجود واستمرار قيام كثير من المسخرات من النوع الثاني بمهامها التي من أجلها خلقت.

وسوف استعرض أهم علاقات الشمس بالمسخرات من النوع الثاني فيما يلي :

علاقة الشمس بالمحافظة على الكميات المتاحة من المسخرات:

يستخدم الإنسان والحيوان والنبات الماء وأكسجين الجو يوميا وبكميات متزايدة وبذلك فإن الكميات المتاحة من هذه المسخرات تتناقص ومعرضة للانتهاء لولا أن الله سبحانه وتعالي سخر الشمس لتقوم بدور عظيم لتعويض الكميات المستهلكة بكميات مماثلة وذلك نعرضه في التفصيل التالي:

(١) علاقة الشمس بالماء :

هذه العلاقة واحدة من أوضح العلاقات بين عوالم المسخرات ، ذلك أننا نعلم أن الماء هو أساس الحياة (١) وأنه يغطي ٨٠٪ من مساحة الكرة الأرضية والأغلب الأعم هو مسطحات مياه المحيطات والبحار وكلها ملحية لا تصلح لأمور الحياة من مشرب وري وسائر استخدامات المياه. وتتجلي الحكمة الإلهية في كون أغلب المياه على ظهر الأرض ملحية حيث لاتتعرض لفساد رائحتها أو طعمها أو لونها بفعل الفطريات أو الطفيليات التي تعيش على المياه العذبة ولا يخل من كونها مالحة أنها مستودع للمياه العذبة وذلك بفعل الشمس .

(١) الآية رقم ٣٠ سورة الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾

تسطع أشعة الشمس على مسطحات المحيطات والبحار بحرارتها المرتفعة والتي تعمل على تسخين سطح الماء وتصاعد بخار الماء منه ، ثم يعلو هذا البخار ويتجمع في شكل سحاب ويقوم الهواء بتحريكه إلي مكان يريد الله أن يرسل إليه الماء ، هناك سوف يصادف السحاب جواً بارداً فإذا ببخار الماء يتكثف ويسقط على هيئة مطر ماؤه عذب يروي النبات ويسقي الحيوان والإنسان.

ويستخدم الإنسان والحيوان والنبات ذلك الماء وما يفيض من مياه المطر يتسرب إلى باطن الأرض ويتجمع في هيئة بحيرات فوق أسطح صخرية ليتحقق به أمران :

١. تبريد باطن الأرض التي لا زالت مشتعلة إلى الحد الذي ينعكس على صلاحية سطح الأرض للحياة ، كما أن التخفيف من حرارة باطن الأرض يعمل علي عدم انفجارها.

٢. مستودع للماء العذب يخرج بإذن الله وبسعي الإنسان ، ليقوم الماء بمهامه في إحياء الأرض الموات وتوفير الري والشرب للحيوان والنبات والإنسان .

وتنطبق ذات الدورة على الماء الذي يستخدمه الإنسان فالفائض منه وما يحتويه جسده من ماء يعود إلى باطن الأرض مرة أخري ، وهكذا تستمر دورة الماء في تلقائيتها بانتظام دون اختلال لتوفير المياه في كل الأزمان لكل كائن حي يطلبها.

(٢) علاقة الشمس بالأرض:

ترسل الشمس إلى الأرض أشعتها فتنشر الضياء ومعه الدفء والحرارة.

وبغير الضياء لا يمكن تصور وجود نشاط إنساني وبالتالي تمتنع أسباب

الحياة واستمرارها، وبغير الدفء يكون البرد القارص الذي تستحيل معه أيضا الأنشطة الإنسانية ، وتتبدي قمة العلاقة بين الشمس والأرض في تعاقب الليل والنهار في سلاسة ونظام يضمن للحياة استمرارها، فالنهار هو وقت السعي والليل وقت السكون والراحة، وبذلك تستقيم الحياة بين سعي لاستمرارها وراحة تعين على بدء سعي جديد. ومعروف أن سبب تعاقب الليل والنهار هو دوران الأرض حول نفسها مرة في كل يوم، ومع الثبات النسبي لمكان الشمس من الأرض فإن جزءاً من سطح الأرض يواجه الشمس فيكون النهار في ذلك الجزء، والجزء الأخر لا يقابل الشمس فلا يصله ضياؤها فتنعم بالليل، ثم وأثناء دوران الأرض تتبدل المواقع ويصبح الجزء الغير مواجه للشمس مواجها لها والعكس .

ودورة أخري فيها تدور الأرض حول الشمس مرة في كل سنة وذلك ما يسبب تعاقب الفصول الأربعة من صيف وخريف وشتاء وربيع، تلك الفصول التي تخلق مناخاً ملائماً لنماء أنواع مختلفة من المزروعات، إذ لو أن مناخ الأرض ثابت على مدار العام لنبتت محاصيل زراعية دون غيرها في إقليم معين، كما أن سطح الأرض والموجودات عليه إذا ما تعرضت لطقس ثابت سوف يؤدي إلى فساد في طبيعة ذلك السطح وما عليه، وإنما تعاقب الفصول الأربعة يضفي نوعاً من الصيانة لطبائع تلك الموجودات .

(٣) علاقة الشمس بالنبات:

يتغذى النبات على الماء والأملاح الذائبة فيه من الأرض بواسطة شعيرات الجذور، ثم يصعد الماء من الجذور عبر الساق والفروع إلى الأوراق، حيث يتحول الماء والأملاح إلى غذاء كامل للنبات وذلك من خلال تفاعلات كيميائية

حيوية تسمي عملية التمثيل الضوئي أو الكلوروفيلي ولا تتم هذه التفاعلات إلا في وجود ضوء الشمس.

من ذلك يتضح أهمية ضوء الشمس في إعداد غذاء النبات الذي بدونه لا ينمو ولا يثمر. ومن أهم ما ينتج عن التفاعلات في عملية التمثيل الضوئي غاز الأوكسجين، ذلك الغاز الضروري لحياة الإنسان والحيوان والنبات والطير والأسماك وحيوانات في البحار والأنهار، أي باختصار الغاز اللازم لاستمرار الحياة في كل صورها ، ونظرا لعظم الكمية المستخدمة والتي تحترق من غاز الأوكسجين فإن عدم وجود مصدر لتعويض النقص من هذا الغاز يعني انتهاء وجوده في وقت ما وهذا معناه انتهاء الحياة بكل صورها على سطح الأرض، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يخرج من عمليات تنفس الكائنات هو أحد العناصر اللازمة لإتمام عملية التمثيل الضوئي ثم ينتج من التفاعل غاز الأوكسجين إعجاز في الخلق، كائن حي يستخدم مخلفات غير مرغوب فيها تنتج عن عمليات التنفس ويخرج بدلاً منها غاز الحياة الذي لا غني عنه لكل كائن حي .

وبجانب ما تقدم فإن لأشعة الشمس أثراً فعالاً في قتل الكثير من الطحالب الضارة والفطريات والآفات التي تضر النبات سواء عن طريق الضوء الصادر من الأشعة أو من الحرارة المنبعثة من تلك الأشعة ، وأثر ذلك حماية النبات من الأضرار والأمراض التي تسببها تلك الفطريات والآفات للنبات .

تلك بعض النماذج من علاقة الشمس بغيرها من المسخرات ، وهناك علاقات أخري كثيرة ومتعددة وتحتاج إلى مساحات ووقت لحصرها وسردها ، لذلك فقد رأيت أن اكتفي بعرض نماذج أخري بين مسخرات غير الشمس

لإلقاء الضوء على طبيعة العلاقات التي تتبادلها المسخرات وفقا لما توصل إليه العلم بعد ما اتبع الإنسان اللفت الإلهي بالتدبر والتعقل والتفكر في مخلوقاته ومنها المسخرات **وأعرض تلك النماذج فيما يلي :**

(٤) علاقة الجبال بالنبات:

قد تبدو هذه العلاقة واهية من النظرة الأولى، غير أن الأمر عكس ذلك، إذ أن المطر عندما يسقط على قمم وسفوح الجبال فإنه يفتت السطح العلوي لها ويحمله الماء معه إلى الوديان والأنهار وهو ما يسمي بالغرين، وهذه الطبقة من سطح الجبال تتكون من مواد غذائية هامة للنبات فعندما تصل مع الماء إلى النبات يتغذي عليها ، لذلك فإن الجبال تمثل مستودع غذاء النبات إلى يوم القيامة، ويمثل الغرين بالإضافة إلى أنه مصدر الغذاء للنبات طبقة جديدة تكسو الأرض لكي تعوض ما ذرته الرياح من سطحها وما فقده سطح الأرض نتيجة لعوامل التعرية الأخرى كما أن الغرين بخصائصه يعمل على تثبيت التربة وبالتالي صلاحيتها للإنبات.

(٥) علاقة الماء بالنبات:

إن هذه العلاقة ظاهرة تماماً وربما كانت من أول اكتشافات الإنسان في مجال علاقة المسخرات بعضها ببعض ، ذلك أن الماء يروي النبات ويمده بحاجته الضرورية للحفاظ على وجوده حتى لا يجف نتيجة لفقده ما بأنسجته من ماء بسبب البخر الناتج من حرارة الشمس كما أنه بدون الماء لا تتم تغذية النبات لأن الماء يقوم بإذابة الأملاح الموجودة بالتربة وكذلك باقي عناصر الغذاء حتى تكون على هيئة محلول تستطيع الجذور وشعيراتها امتصاصها ويتسنى لهذا الغذاء الأولي الوصول إلى الأوراق حيث يتم تحويله إلى الغذاء الأساسي للنبات ويعمل الماء

على ترطيب التربة وخصوصاً الطبقة التي تنمو فيها الجذور حتى تكون في درجة الحرارة التي تسمح بنمو الجذور والقيام بوظائفها.

(٦) علاقة الماء بالأرض:

إن هذه العلاقة هامة لاستمرار الأرض كمستقر لكل أشكال الحياة سواء كانت للإنسان أو النبات أو الحيوان، ذلك أن الماء بجانب قيامه بتثبيت التربة كما أشرت في العلاقات السابقة فإن الماء يتسرب إلى باطن الأرض من خلال مسام التربة مكوناً مستودعات للمياه العذبة في باطن الأرض، هذه المستودعات تمثل أماناً لاستمرار الحياة، فضلاً عن أنها تنفجر بإذن الله في أماكن تخلو من الماء فتقوم عليها الحياة في أرض ميتة، وتعمل هذه الخزانات الأرضية على تخفيض درجة حرارة الأرض بدءاً من جوفها حتى سطحها وبذلك يحفظ الماء للأرض درجة الحرارة المناسبة لاستمرار الحياة، واستمراراً لوظيفة الماء في حفظ درجة حرارة الأرض نتأمل حكمة المولى عز وجل في أن لا تصل أشعة الشمس بدفئها وحرارتها أقصى طرفين للأرض فتنخفض درجة الحرارة في هذين القطبين إلى ما دون الصفر فيتجمد الماء العذب ويصبح مستودعاً فوق الأرض للماء العذب فضلاً عن ضمان استمرار درجة حرارة الأرض في المعدل الذي يمكن معه استمرار الحياة لمعادلة درجة التجمد لدرجة الانصهار في باطن الأرض مما يمنع انفجارها أو ارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض بصورة لا يمكن استمرار الحياة معها.

وفي إشارة إجمالية سريعة إلى علاقات أخرى بين المسخرات بعضها وبعض أذكر ما تقوم به الحشرات والرياح من عملية نقل حبوب اللقاح بين النبات حتى تكتمل دورة التكاثر وأشير أيضا إلى وظيفة الجبال باعتبارها أوتادا للأرض حتى لا تميد .... والمجال متسع للكثير من تلك العلاقات غير أني رأيت

الاكتفاء بما ذكر باعتباره أمثلة ونماذج على طبيعة العلاقة بين المسخرات بعضها ببعض.

وبالتأمل يبين لنا أن علاقة المسخرات بعضها ببعض إنما تقوم أساساً على توفير مناخ ملائم لحياة الإنسان واستمرارها سواء بجعل المسخرات في حالة وطبيعة تسمح للإنسان باستخدامها والانتفاع بها أو بإنتاج ما يعوض ما يستخدم أو يستهلك من هذه المسخرات لإبقائه بالقدر الذي يضمن استمرار الحياة للمخلوقات.

ثالثاً: علاقة المسخرات بالإنسان

هذا الفرع من علاقات المسخرات هو الغاية من خلق المسخرات فكلها – ما نعلم خصائصه وما لا نعلم عنه – إنما خلقت لخدمة الإنسان ولاستمرار وجوده ، وقد سبق أن أشرت في المبحث الأول عندما تعرضت إلى وظائف المسخرات إلى علاقاتها المباشرة بالإنسان وتلخصت تلك العلاقة في :

أ – توفير الغذاء والكساء للإنسان.

ب – نقل الإنسان وأمتعته وأثقاله من مكان إلى مكان.

جـ– توفير الماء والهواء والأرض والتي بغيرها لا توجد حياه.

د – تثبت الأرض وتحديد مسارات فيها.

هـ– توفير الطعام والحلية من المحيطات والبحار والأنهار وجعلها وسيلة نقل أيضاً.

و – توفير الضوء والدفء اللازمين لمزاولة الحياة من الشمس والقمر والنجوم وجعلها وسيلة هداية على الأرض لمعرفة دروب الأرض واتجاهات السير وتعلم عدد السنين والحساب.

ولن استرسل في عرض وظائف المسخرات وإنما في سبيل تحديد علاقة بين المسخرات والإنسان سوف أتعرض لطبيعة تلك العلاقة أولاً وقبل تحديدها وسوف يكون ذلك من خلال الصورة النقاشية الآتية:

هل علاقة الإنسان بالمسخرات علاقة أخذ فقط؟

أم هي علاقة أخذ وعطاء؟

ولا مجال لتصور الفرض الثالث وهو أن علاقة الإنسان بالمسخرات علاقة

عطاء من الإنسان فقط وظاهر الأمر في طبيعة العلاقة بين المسخرات والإنسان هي علاقة عطاء من جانب المسخرات وأخذ من جانب الإنسان على النحو الذي عرضته فيما تقدم.

ولكن من جانب آخر غير منظور فإن الإنسان عندما يناله من المسخرات ذلك الفيض من النعم فإنه يتوجه للخالق الأعظم بالشكر على النعمة وبالعبادة كما أمرنا ، ويتلقي الرحمن الرحيم ذلك من عباده بزيادة العطاء لعباده الشاكرين عن طريق زيادة عطاء المسخرات للإنسان وكشف أسرارها حتى يتمكن الإنسان من زيادة استفادته منها ، فطاعة الإنسان لخالقه ودوام شكره وعبادته هي بمثابة عطاء من الإنسان للمسخرات بطريق غير مباشر .

إذن فعلاقة المسخرات بالإنسان هي علاقة أخذ وعطاء متبادل بينهما .